

تفسير السمرقندي

@ 94 @ قل ما أراد غزوة إلا ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة فأراد في غزوة أن يتأهب الناس أهبتهم وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحال وأنا في ذلك أصبو إلى الظلال وطيب الثمار .

فلم أزل كذلك حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم غازيا بالغداة وذلك يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم الخميس فأصبح غاديا فقلت إنطلق غاديا إلى السوق غدا فأشتري ثم ألحق بهم فانطلقت إلى السوق من الغد فعسر علي بعض شأنني فرجعت فقلت أرجع غدا إن شاء الله فألحق بهم فعسر علي بعض شأنني فلم أزل كذلك حتى إلتبس بي الريب وتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أمشي في الأسواق وأطوف في المدينة فيحزنني أن لا أرى أحدا تخلف إلا رجلا مغموسا عليه في النفاق وكان جميع من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وثمانين رجلا ولم يذكرني النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فلما بلغ تبوك قال فما فعل كعب بن مالك فقال رجل من قومي خلفه يا رسول الله حسن برديه والنظر إلى عطفه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا نبي الله ما نعلم منه إلا خيرا .

فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وقفل ودنا من المدينة جعلت أتذكر بماذا أخرج من سخطة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي حتى إذا أقبل النبي صلى الله عليه وسلم زاح عني الباطل وعرفت ألا أنجو إلا بالصدق ودخل النبي صلى الله عليه وسلم ضحى فصلى في المسجد ركعتين وكان إذا جاء من السفر فعل ذلك فدخل المسجد وصلى ركعتين ثم جلس فجعل يأتيه من تخلف فيحلفون له ويعتذرون إليه ويستغفر لهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى .

فدخلت المسجد فإذا هو جالس فلما رأيته تبسم تبسم المغضب فجئت وجلست بين يديه فقال ألم تكن ابتعت ظهرك فقلت بلى يا رسول الله فقال ما خلفك فقلت والله لو أنني بين يدي أحد من الناس غيرك لخرجت من سخطه علي بعذر ولقد أوتيت جدلا ولكني قد علمت يا رسول الله أنني لو أخبرتك اليوم بقول تجد علي فيه وهو حق فإنني أرجو فيه عفو الله وإن حدثتك حديثا ترضى عني فيه وهو كذب يوشك الله أن يطلعك علي والله يا نبي الله ما كنت قط أيسر ولا أخف حالا حين تخلفت عنك قال أما هذا فقد صدقكم الحديث قم حتى يقضي الله فيك فقامت فنارعتني ناس من قومي يؤنبونني وقالوا والله ما نعلمك أذنبت ذنبا قط قبل هذا فهلا إعتذرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بما يرضى عنك فيه فكان إستغفاره سيأتي من وراء ذلك ولم توقف نفسك موقفا ما تدري ما يقضى لك فيه .

فلم يزالوا يؤنبونني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي فقلت هل قال هذا القول أحد غيري
قالوا نعم فقلت من هو فقالوا هلال بن أمية ومرارة بن الربيع فذكروا رجلين صالحين قد
شهدا بدرا لي فيهما أسوة فقلت وإني لا أرجع إليه في هذا أبدا ولا أكذب